جامعة تكريت

كلـــية الــتربيــة للعلوم الانسانية

قسـم التـــاريخ / ماجستير تاريخ حديث

مشكلة الاقليات الاسلامية في اسيا

الصين انموذجا

الاستاذ الدكتور

غفار جبار جاسم

شهدت عدد من الدول الآسيوية صراعات طائفية مُعتمدة على البُعد الديني، وتعاني الأقليات المُسلمة من تهميش واضطهاد ومُطالبة أحيانا بتدخل أو انفصال لحل أزماتها التي تتركز في الغالب بدول جنوب وشرق آسيا وما يستتبعها من ظهور حركات انفصالية التي يستخدم بعضها سلاح المُقاومة السلمية ويلجأ البعض الآخر إلى المقاومة بالأشكال المسلحة والعنيفة. ومن ابرز المشاكل التي عانت منها الاقليات في العالم هي:

-مشكلات الاضطهاد ، التمييز، التضييق، الاستفزاز

-مشكلة الحفاظ على الهوية ،المعتقد، اللغة ، التاريخ، الوطن، الثقافة.

-مشكلة الفقر وانخفاض المعيشة

-مشكلة التهميش السياسي

الصين

تُعد الصين من أكثر دول العالم سُكاناً ليس فقط على مستوى القارة الأسيوية. ولكن على مستوى العالم أجمع وتتعدد القوميات والأديان واللغات بتعدد السكان،وبها٥٤ لُغةو٥٦ قومية أكبرها قومية "هان" وهي تضم أغلبية الصينيين، أما الأديان الرئيسية المعترف بها فهي خمسة: (البوذية،الإسلام، المسيحية الكاثوليكية، الطاوية) وحسب بعض الاحصاءات فإن أغلبية الصينيين لا يؤمنون بهذه الأديان جميعاً، أي أنهم لا يؤمنون بأي دين سماوياً كان أم وضعي وهو ما يجعل المُسلمين أقلية في بلد بحجم الصين.

وضع الأقلية المُسلمة في الصين

أولا : الخلفية التاريخية للأقلية المُسلمة

يتضح من التاريخ تذبذب أحوال المسلمين بين الاستقرار والمُعاناة، حيث شاركت بعض المليشيات الإسلامية التابعة للمنظمة الإسلامية لعموم الصين مع الجيش الصيني في مواجهة الغزو الياباني في الفترة بين (١٩٤٥:١٩٣٧). وفي فترة استقرار ما بعد المندشوريين، استعاد المسلمون في الصين بعضاً من حقوقهم السياسية مثل تمثيلهم بمائة نائب في البرلمان الصيني عام١٩٤٧ ، إلى أن جاء الحُكم الشيوعي للصين، وبدأت المعاناة. ويلاحظ الباحث أن المنظمات الإسلامية رغم أنها أقامت العديد من المساجد (تخطى ٤٧ ألف مسجد) وازدهرت الحركة الاسلامية والنشاط الديني الاسلامي بالمساجد والمؤسسات ونشر اللغة العربية وإقامة علوم الدين إلّا أن كُل ذلك لم يؤد الى تخلي المسلمون عن نداء الواجب الوطني فقد أندمج المُسلمون في إطار الدولة الصينية بمواجهة الاستبداد الداخلي تارة والغزو الخارجي تارة أخرى، أي أن الدين الإسلامي لدى الأقلية المُسلمة لم يتعارض مع مفهوم الوطن فلم يمنعهم عن تلبية نداء الوطن .

ثانياً : جُغرافية الأقلية المُسلمة في الصين

استمر الأمر على ذلك الحال إلى أن انتصرت الثورة الشيوعية في عام ١٩٤٩ وهو ما نتج عنه محاولات عديدة للتضييق على الأقلية المُسلمة وإن كان للأمر بُعداً أيديولوجيا واقتصاديا حيث أن أغلبية الأقليات المُسلمة المُتعددة العرقيات تسكن الولايات الشمالية والغربية لتشكل الغالبية في تلك المناطق،

ويُعتبر أقليم (تُركستان الشرقية) هو أكبر إقليم يشتمل على أغلبية مُسلمة وهو أكبر أقاليم الصين مساحة وتُقدِّر الحكومة الصينية عدد المسلمين هناك بـ ٧,٥ ملايين . يحد هذا الإقليم من الشمال الغربي كازاخستان، ومن الجنوب أفغانستان والهند، ومن الشرق أقاليم التيبت الصينية، حاولت الصين منذ عام ١٧٥٩م احتلاله بسبب ثرواته الطبيعية وأهمها النفط الذي يسد ٨٠% من احتياجاتها، واستطاعت بالفعل السيطرة عليه عام ١٩٤٩ بعد نجاح الثورة الشيوعية، فأصدرت قانوناً بتغيير اسم الإقليم إلى "سنغيانغ أو إقليم أويغور" المتمتع بالحكم الذاتي ، فقام المسلمون نتيجة لذلك بثورات عديدة تطالب بالاستقلال عن الحكم الصيني، كان أشهرها ثورة (١٩٦٥-١٩٦٦) التي قمعتها الصين. وهنا بدأت معاناة المسلمين سواء في أماكن تواجدهم داخل الإقليم أو في أماكن لجوئهم بالخارج، حيث مارست الحكومة (ماهي الأدلة والمؤشرات التي تدعم ...)الصينية ضدهم صنوفاً مختلفة من القمع والاضطهاد. أسفرت عن هجرة حوالي ٢٥٠ ألفاً من الإقليم ، كما عملت على القضاء على مظاهر الحياة الإسلامية بحجة مخالفة القوانين الصينية فعملت على إغلاق أكثر من عشرة آلاف مسجد من أصل ٢١ ألفًا في الإقليم ومنع استخدام الأحرف العربية في الكتابة وتطبيق قوانين أحوال شخصية يخالف بعضها أحكام الشريعة الإسلامية علاوة على إخضاع المدارس في تركستان الشرقية للمناهج التعليمية الصينية دون اعتبار للخصوصية الدينية والعرقية .

ثالثاً : تعامُل الحكومة الصينية مع الأقليات المُسلمة مُتعددة العرقيات

أ سياسة التهجير

اتبعت الحكومة الصينية سياسة التهجير لتغيير التركيبة السكانية للإقليم بحيث قامت بترغيب الهان بالإقامة في إقليم الويغور مما أدى إلى زيادة تدريجية في نسبة السكان الهان الصينيين في المنطقة، وفى المقابل هاجر الكثير من المسلمين من سكان الإقليم نتيجة لاضطراب المنطقة سواء للدول المجاورة للإقليم أو لمناطق أخرى بالصين وهى سياسه انتهجتها الحكومة الصينية حيث أنه في عام ٢٠١٠ سعت السلطات الصينية إلى هدْم مدينة "كاشجر" القديمة، ذات الأغلبية الويغورية، في جنوب غرب منطقة شينجيانغ، وتهجير ٢٠٠ ألف من سكانها، بحجَّة خضوع المدينة لإعادة تطوير ضخمة حتى أصبحوا يمثلون الآن قرابة ٤٠% من سكان شينجيانج، في مقابل ٤٥% من الويغور

ب- العمل الدبلوماسي الصيني على المستوى الإقليمي(الحلول التي تملكها الدول العربية)

أحرزت الصين نجاحًا في احتواء مسألة الانفصال ضمن إطار شنغهاي ومنظمة شنغهاي للتعاون SCO، التي خلَفتها وتأسست في عام ٢٠٠١، وكان أحد أوائل أعمال المنظمة هو اعتماد "عهد شنغهاي لقمع الإرهاب والانفصال والتطرف الديني"، الذي يهدف إلى تأسيس مجتمع قوي استجابة للتهديد الواضح الذي يمثله الإسلام الأصولي على هذه الدول، وهي العوامل التي جعلت الموقف الصيني يحظى بتأييد جيرانها في آسيا الوسطى وأنها تعمل على الحفاظ على أمنها القومي ضد الارهابيين مما دفع باكستان لإعلان تأييدها الرسمي للصين

ج- التنمية الاقتصادية في الإقليم

تسعى الحكومة إلى إطلاق برنامج للتنمية الاقتصادية في إقليم شينجيانج الغني بالموارد، اعتقاداً بأن النمو الاقتصادي سوف يؤدي إلى تخفيف وطأة معاناة السكان هناك، وبالتالي تقليل تأييد الأقليات للأصولية الإسلامية، حيث وعد الرئيس الصيني جين تاو أنه بحلول عام ٢٠١٥ أي بعد ٥ سنوات من وضع خطط التنمية الاقتصادية للإقليم سيزداد الناتج القومي للفرد في الإقليم وأن الحكومة تهدف لمعالجة المناطق الفقيرة في الإقليم لتسوية الاضطرابات بالحلول الاقتصادية وكان لتلك السياسة السابقة أثراً استغلته الحكومة الصينية لصالحها أما المُجتمع الدولي لتبرير العُنف حيث تكونت حركات أشبه بالتحرر الوطني خاصة وأن الاقليم كان يتمتع باستقلال ذاتي ويسمى (تركستان الشرقية) و لم يكن تحت حُكم الصين المباشر إلّا بعد نجاح الثورة الشيوعية في ١٩٤٩ وهى الحركات التي اتهمتها الحكومة الصينية بأنها جماعات ارهابية مُسلحة وأصبحت أمام المُجتمع الدولي أنها مُمثلة للعنف الاسلامي وتابعة للقاعدة . حيث أنه في ظل هذه الأوضاع تشكلت جماعات سرية مسلحة تعمل داخل الإقليم لتحريره من وجهة نظرهم وهُم مثل : (الحزب الإسلامي لتركستان الشرقية، حركة تحرير تركستان) لكنها كانت هشة من جانب التسليح فتفككت على يد قوات الأمن الصينية، ظهرت جماعات جديدة مثل جماعة (شرارة الوطن) وحركة (نمور لوينور) التي يقودها كاهبارشاخيار، الذي كان مدعما من جماعات سياسية تتخذ كازاخستان قاعدة لها، مثل الجبهة الوطنية الثورية .

التعامل العربي والإسلامي مع قمع الأقلية المُسلمة بالصين

اتخذت الدول العربية موقفاً سلبيا تجاه الأحداث عبر الصمت التام، ولم تتحرك منظمة المؤتمر الإسلامي لتخفيف الضغط على مسلمي الصين وهو ما عبرت عنه زعيمة الويغور قائلة إن الدول الإسلامية مثل باكستان وأفغانستان والسعودية ومصر وسوريا وغيرها من الدول الإسلامية بالإضافة إلى دول وسط آسيا، كلها قامت بنفي الويغور الذين لجئوا إليها هربًا من الاضطهاد والظلم الصيني، ليس هذا وفقط بل قاموا بإعادتهم إلى الصين حيث قتلوا أو صدرت بحقهم أحكام بالسجن مدى الحياة" .. إلاّ أن موقف الحكومة التُركية كان مُغايراً لما جاء علية موقف الدول العربية حيث أعربت تُركيا عن استيائها من حالة العنف المُمارسة من قبل الحكومة الصينية ضد سكان اقليم تركستان الشرقية، إذ أن أغلب المسلمين الويغوريين يتحدثون اللغة التُركية. وهو ماعبَر عنه رئيس الحكومة التُركية رجب طيب أردوغان تعليقاً على أحداث العُنف التي شهدها الاقليم في عام ٢٠٠٩ بين الهان والويغور حيثُ أعلن رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، أن بلاده ستطلب من مجلس الأمن مناقشة السبل الكفيلة بوقف العنف العرقي الذي يتعرض له أبناء عرق الويغور في تركستان الشرقية المحتلة والتي تقع شمال غربي الصين منذ الأحد الماضي. وقال أردوغان في

اجتماع مع دول مجلس التعاون الخليجي في اسطنبول: "سنضع الأحداث الدائرة في إقليم شينجيانج الذي يتمتع بحكم ذاتي على جدول أعمال مجلس الأمن .

أسباب الأزمة الصينية:

بمُلاحظه تتابع الأحداث نجد أن إشكالية الأقلية المُسلمة في الصين لا تكمن في الديانة بقدر ما تكمن في محاولة الحكومة الشيوعية السيطرة على إقليم تركستان الشرقية لمصالحها الاقتصادية والجيوسياسية لكون الإقليم غني بالبترول والفحم والأراضي الخصبة للزراعة علاوة على الجغرافية السياسية المتميزة للإقليم ،وللبعد الايديولوجي الشيوعي دوراً في محاولات طمس المعالم والمظاهر الدينية، وبدليل وجود أقليات مُسلمة أخرى مثل " الهوى" والتي لا تتعرض لمثل ما تتعرض له الويغور إذ أنهم قومية مختلفة لا تتمسك بالمظاهر الدينية الاسلامية. ولكن ظل الويغور محتفظين بهويتهم ورغبتهم في تفعيل الحُكم الذاتي وأحيانا الاستقلال عن الصين خاصة أن الاقليم لم يكن تابعاً للصين قبل الحكم الشيوعي. ومثل ذلك القمع لمسلمي الويغور أدّى لتواجد تنظيمات وجماعات عدة تدعو للجهاد والحفاظ على الهوية الاسلامية ضد الدولة الصينية الشيوعية وسياستها السابق ذكرها سواء بتنظيم تظاهرات سلمية أو بمحاولات التفجير كما تذكر الصحف ووسائل الاعلام الصينية أو بأعمال شغب عامة وقابلتها الحكومة بالعُنف وأنها جماعات ارهابيه انفصالية. والخروج من الأزمة قد يكون بتفعيل الحكومة الصينية للحكم الذاتي في الإقليم وهو ما لن يأتي إلّا بضغط عربي واسلامي على الصين بدلاً من حالة الصمت السائدة إذ تُعتبر الدول العربية أسواقا مفتوحه للاقتصاد الصيني وهو ما يمكن أن تعتبره الدول العربية ورقة ضغط ناجحة . من مذابح وتهجير، تتركز أغلبية المُسلمين في منطقة أراكان وهُم يُسمون بالروهينغا وتوجد الأغلبية البوذيين من الماغالتي تُمارس التطهير العرقي المُقنن ضد الأقلية المسلمة وتعتبر هذه الملايين هم مهاجرين غير شرعيين وتعود المشكلة إلى زمن الاحتلال البريطاني الذى استقل بأراكان عن الهند كمستعمرة له ثُم ضمها لبورما وأنهت انجلترا احتلالها في ١٩٤٨ منحت بريطانيا الاستقلال لـ "بورما" شريطة أن تمنح لكل العرقيات الاستقلال عنها بعد عشر سنوات إذا رغبت في ذلك، ولكن ما إن حصل "البورمان" على الاستقلال حتى نقضوا عهودهم، حيث استمرت في احتلال أراكان دون رغبة سكانها من المسلمين الروهينغا، إلى أن جاء الانقلاب العسكري الشيوعي في ١٩٦٢ وكانت اسوأ فترة مر بها المُسلمون وحتى بعد إقامة حكومة مدنية وعملية انتخابية لانتقال نحو الديمقراطية ظلت أحوال المُسلمين رهينة العنف والاضطهاد وأنّات المُخيمات بين بورما وبنجلاديش لتضم ملايين المُسلمين المُشردين بين فقر ومرض لتعبر عن تاريخ من الألم ومُستقبل من الخوف .